قضايا أدب الهامش: (الدين، السياسة، المرأة ، المجتمع)

➢ أولا: قضايا الدين

تعد قضية الدين في أدب الهامش من أكثر القضايا تعقيداً كونها تقتحم المناطق المسكوت عنها التي تحرسها المؤسسات الرسمية. لا يستهدف هذا الأدب العمق الروحاني للعقيدة بل يوجه نقده لتوظيف الدين أداةً سلطوية لإقصاء الآخر وتهميش المخالفين في الرأي. تبرز في هذا السياق تجارب التّصوف كنموذج للهامش الروحي الذي قمعت السّلطات أقطابه بتهم "الزندقة" و"الكفر" نتيجة شطحاتهم المتجاوزة للفهم الظاهري للنص. تمثل شخصية الحلاج رمزاً للذات المبدعة التي دفعت حياتها ثمناً لاختراق المقدس والمحظور كما يسلط الأدب الضوء على مآسٍ تاريخية كفاجعة لسان الدين بن الخطيب الذي تداخلت في محنته الخصومة مع التكفير الديني لإسكات قلمه المتميز. يمتد هذا التهميش ليشمل الكتابات الخارجة عن الممارسة الدينية للمؤسسة الرسمية مثل أدب الشيعة وأدب الخوارج في العصر الأموي حيث صُنفت هذه الإنتاجات ضمن "الآداب المحظورة" لكونها تعبر عن فصائل مناوئة للمركز. يعالج الأدب في المقابل قضية "التشدد الديني" بوصفها قوة إقصائية تحاول خنق الإبداع وتصنيف النصوص وفق معايير أخلاقية صارمة ترفض التعددية. كما يتناول قضية "الإلحاد" شكلاً من أشكال التمرد الوجودي والرفض المطلق للقوالب الجاهزة التي تفرضها المركزية الثقافية وتتجلى هذه النزعة بوضوح في كتابات رشيد بوجدرة ومالك حداد الذي طرح قضية الانفصال عن الموروث من زاوية الاغتراب الذي يعيشه المثقف الهامشي في صراعه بين هويته الممزقة ولغة المركز. إن الهدف الأسمى لهذا الطرح يكمن في خلق فضاء للحوار يحترم التعددية الإنسانية والدينية ،ويمنح الحق للفئات المقصاة في التعبير عن كينونتها بعيداً عن الرقابة المؤسساتية.

ثانيا: قضايا السياسة

تعتبر السياسة المحرك الأساسي لصراع المركز والهامش في الأدب حيث تظهر العلاقة المتوترة بين السلطة والمقموعين. يصور هذا الأدب قضايا المسحوقين الذين تحاول المؤسسات الرسمية تغييبهم وطمس اهتماماتهم عبر التاريخ. يمتد هذا الإقصاء ليشمل "أدب الصعاليك" الذين مثلوا أول تمرد سياسي معلن على سلطة القبيلة وتقاليدها المركزية. كما يبرز "أدب السجون" بوصفه صوتاً للمغيبين وراء القضبان نتيجة مواقفهم المعارضة حيث تتحول الزنزانة إلى فضاء لإنتاج نصوص تكشف القمع السياسي. ويلاحظ في هذا السياق عزوف كثير من الكتاب عن تناول القضايا السياسية المباشرة مخافة التعرض للملاحقة أو الدخول إلى السجن مما يجعل بعض النصوص توصف بالآداب المحظورة. وفي السياق الجزائري تبرز تجربة "أدب المحنة" أو أدب العشرية السوداء الذي رصد فظائع الإرهاب وتهميش الإنسان في ظل الأزمات الأمنية والسياسية الكبرى. تبرز الشخصيات الهامشية كأبطال جدد من "قاع المجتمع" يتحدون الأنظمة طلباً للعدل والحرية وحقوق الإنسان. يرتبط هذا المحور أيضاً بنظرية "ما بعد الكولونيالية" التي تسعى لفضح تجليات الإمبريالية وزحزحة المركز الأوروبي وإعادة الاعتبار للهويات الوطنية. تعبر النصوص السياسية الهامشية عن مآسي الشعوب المستعمرة وتنتقد التواطؤ الدولي ضد القضايا العادلة مثل القضية الفلسطينية.

ثالثا: قضايا المرأة

تحتل قضية المرأة مكانة جوهرية في أدب الهامش من خلال ما يعرف بـ "الأدب النسوي" الذي يفكك الخطاب الذكوري المهيمن. يعالج هذا الأدب تهميش المرأة وإقصاءها من مراكز القرار الاجتماعي والثقافي عبر عصور طويلة نتيجة تسلط المركزية الأبوية. تسعى الكتابات النسائية إلى اختراق "الطابوهات" الاجتماعية وانتقاد القيم التي تعلي من شأن الرجل على حساب كينونة المرأة

وحريتها في التعبير عن ذاتها. يبرز في هذا السياق "الأدب الجندري" الذي يحلل الأدوار الاجتماعية ويكشف عن آليات القمع التي تتعرض لها الأنثى. يصور الأدب الهامشي معاناة المرأة ليس فقط كموضوع للظلم بل كذات مبدعة تحاول استعادة هويتها المسلوبة وحقوقها المهدورة. وتتضح هذه القضية عربياً في كتابات رائدات مثل نوال السعداوي التي واجهت سلطة المجتمع بجرأة وفاطمة المرنيسي التي فككت الخطاب الذكوري تاريخياً وغادة السمان التي عبرت عن حرية المرأة في مواجهة الحرب والمجتمع. ينتقد هذا الأدب "الرياء الأخلاقي" الذي يفرض معايير مزدوجة في التعامل مع قضايا الجسد ويرفض حصر إبداع المرأة في "الرواية الوردية" أو العاطفية. تهدف هذه النصوص إلى منح المرأة صوتاً مستقلاً يعبر عن انشغالاتها الخاصة بعيداً عن الوصاية الذكورية الصارمة. تتحول المرأة في سرديات الهامش من كائن منبوذ إلى بطلة تقاوم التهميش الجندري والطبقي في آن واحد. إن التركيز على حرية المرأة في هذه الكتابات يعد فعلاً لمقاومة التهميش وخطوة نحو استعادة حضورها الفاعل في المجتمع.

رابعا: قضايا المجتمع.

تتمحور قضية المجتمع في أدب الهامش حول حياة الطبقات الدونية والمهمشة التي تعيش خارج دائرة الضوء. يركز هذا الأدب على الفئات المنسية مثل المشردين والفقراء في المناطق النائية والمحرومة لتسليط الضوء على واقعهم القاسي. يعالج النص الهامشي آفات المجتمع وعيوبه من خلال "مرآة صادقة" تعكس معاناة الناس اليومية مثل قضايا الطلاق وتفكك الأسرة ومعاناة مجهولي النسب. كما يهتم بتصوير حياة ذوي الهمم وأصحاب الاحتياجات الخاصة الذين يعانون من الإقصاء والتهميش نتيجة نظرة المجتمع القاصرة. يبرز الصراع الطبقي جلياً في الروايات التي تنتقد الفجوة الهائلة بين الطبقات الغنية والفقيرة جداً وترفض سيطرة النخبة على الثقافة. يتناول الأدب أيضاً ظواهر العنف والتعصب الجهوي التي تمزق النسيج الاجتماعي وتدفع الأفراد نحو الهجرة القسرية أو الاختيارية هروباً من ضغوط المجتمع وقوانينه الجائرة. يرتبط هذا المحور بظهور الرواية الواقعية التي اهتمت بتصوير

"إنسان القاع" ودوافعه النفسية والاجتماعية في مواجهة الظلم. يستخدم الأدباء لغة بسيطة أو هجينة تمزج بين الفصحى والعامية لكسر الحواجز بين الأدب والجماهير الشعبية. يهدف الأدب الاجتماعي هنا إلى تحقيق "العدالة الرمزية" عبر الاعتراف بشرعية الثقافات الشعبية والفرعية المقصاة. بذلك يصبح الأدب وثيقة تاريخية واجتماعية تطلعنا على التراث الإنساني الحقيقي بعيداً عن زيف المؤسسات الرسمية.

الأستاذة: سمهان لحلو